الإيقاع جمالياته وتوظيفه الدلالي في سورة النبأ

أ.م.د. نوار محمد اسماعيل

كلية الآداب/ جامعة الموصل

Rhythm in Al-Naba Sura

Ass.Prof.Dr. Nawar Mohammed Ismail
University of Mosul\ College of Arts
drnawwar40@gmail.com

Abstract

The research considered in studying the rhythmic structure in Al-Naba' Sura as an entrance in revealing the artistic construction, aesthetic aspects, and connotative phenomena. The rhythm interferes with the rhetoric sciences whereas the rhetoricians dealt with through their speech about enchasing, rhyme, congruity of construction, moderation of measure, derivation of the pronunciation from the utterance, summarization of the phrase using borrowed utterances; then stating the parts and sequence etc..

After stating the concept of the rhythm the research was divided into the rhythm of interval and its connotation as moving letters in the sections that should make the rhetoric meaning understood well.

Thus; Al-Sura started in the interval of al-noon and moved into al-dal which came congruent with al-'alef whereas the contradiction played an important role in making the connotation prominent. The second axis was concerning with the repetition and its rhythmic connotation of the verbs denotative of movement. Thus; the sounds produced in their repetition and sequence a prominent artistic rhythm; also the parallelism achieved rhythm in its sequence. So; in the Sura, a grammatical and derivational parallelism has come, whereas parallelism is based on the connotative equivalence. The structure of the rhythmic balance has consolidated the connotation of the text that pushed it for more tension and harmony at the same time. There is parallelism based on the level of the apex rising namely, representative of the open-mindedness towards the texts went and directed it to the connotative summit, that had the considerable effect in showing prominence the succession of the connotation in the human rebellion concluded in the original parallelism.

This kind gives the chance to possibility of double reading because it is based on the intersection among the repeated elements which is known in the western criticism as opposition or replacement as a result of replacement the original center from right to left vice-versa.

Keywords: rhythm, beauty, employment, indication, Al-Naba Sura.

الملخص

عني البحث بدراسة بنية الإيقاع سورة النبأ بوصفه مدخلاً للكشف عن البناء الفني والمظاهر الجمالية والظواهر الدلالية, والايقاع يتداخل مع علوم البلاغة، اذا تناوله البلاغيون عند كلامهم عن الترصيع والسجع واتساق البناء واعتدال الوزن واشتقاق اللفظ من اللفظ وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة وايراد الاقسام والتوازي وغيرهم. وقد عني البحث لبيان مفهوم الإيقاع وجاء مقسماً الى إيقاع الفاصلة ودلالتها بوصفها حروف متشاكلة المقاطع توجب حسن افهام المعاني وفيها بلاغة, ابتدأت السورة بفاصلة النون وانتقلت الى الدال الي جاء متوافقا مع الالف وكان للتضاد الدور الفاعل في ابراز الدلالة. كما جاء المحور الثاني مهتماً بالتكرار ودلالته الايقاعية للأفعال الدالة على الحركة.

وقد حققت الاصوات بتكرارها وتواردها ايقاعاً فنيا بارزا. كما حقق التوازي بتوارده ايقاعاً. فقد ورد في السورة توازي نحوي وصرفي وتوازي قائم على التقابل الدلالي. وقد عززت بنية التوزاي الإيقاعي دلالة النص ومنحته مزيداً من التوتر والانسجام في ان واحد, وهناك توازي قائم على مستوى التصاعد الذروي وهو يمثل الانفتاح الذي سار النص بتجاهه ووجهه نحو القمة الدلالية وكان له اثر كبير في ابراز دلالة التسلسل في العصيان البشري, وختم بالموازنات الأصلية وهذا الضرب يتيح امكانية قراءة مزدوجة لأنه قائم على التقاطع بين

العناصر المكررة وعرف بالنقد الغربي بالعكسي أو التبديل ويقوم نتيجة استبدال المركز الاصلي للموتيم من اليمين الى اليسار او العكس.

الكلمات المفتاحية: الإيقاع، جمال، توظيف، دلالة، سورة النبأ.

المدخل:

يعد الإيقاع واحدا من أهم المداخل الى تفتيت النص والكشف عن بنيته الفنية واجلاء مظاهره الجمالية وظواهره الدلالية، ولم يكن النقد العربي القديم والدراسات اللغوية بمنأى عن الإيقاع او غفلا عنه، بيد أن مباحث الإيقاع تتداخل مع علوم البلاغة، فعلى سبيل المثال يقول قدامة بن جعفر في هذا الباب هناك (الترصيع والسجع واتساق البناء واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة وايراد الاقسام موفرة التمام... والتوازي وارداف اللواحق وتمثيل المعاني[1] من هنا فالإيقاع مؤثر لا يمكن انكار دوره في الدلالة النصية. والإيقاع مما يحفل به الشعر والنثر، ومن الوهم الظن ان الإيقاع من خصائص الشعر لوحده بل كان الإيقاع جامعا بين الشعر والنثر وان كان دوره في النثر اقل دورا.

اهتم النقد الحديث هو الاخر بالإيقاع وأولاه أهمية قصوى ولا اريد الخوض في مصطلحات الإيقاع ومفاهيمه بل سأحاول تأويل النص القرآني على وفق رؤية تنطلق من الإيقاع رابطة اياه مع الدلالة. واذا كان نصر ابو زيد يرى ان المفهوم الشائع للتأويل في الفلسفة المعاصرة هو جهد عقلي ذاتي لانفتاح النص الديني على تصورات المفسر ومفاهيمه وان هذه النظرة تغفل دور النص وما يرتبط به من تراث نفسي وتأثيره على فكر المفسر[2] فأننا سنسعى في دراستنا التطبيقية هذه الى تأويل النص ايقاعيا ناعين بأنفسنا عن لي عنق النص المقدس واخضاعه الى فكرنا المسبق من جهة، او ابعاد الذائقة الخاصة في تلقينا للنص بوصف النص القرآني موجها الى متلق عربي وبلغة عربية تحمل خصائص اعجازه.

وتعد سورة (النبأ) التي تسمى ايضا سورة (عمّ) لافتتاحها بتلك الكلمة فاتحة الجزء الاخير من القران الكريم وتتناسب دلاليا مع سورة المرسلات التي اتت قبلها بوصفها اخر سورة من الجزء التاسع والعشرين وياتي التناسب من كون السورتين تتناولان البعث والنشور وتصفان الجنة والنار، كما فصلت هذه السورة ما أُجمل في سابقتها[3] ولذلك فالسورة في بنائها المحكم وتركيبتها تواشج فيها الإيقاع مع الدلالة لتعزيز بنية نصية تشد انتباه المتلقي، ولما كان وكد البحث الكشف عن جماليات بنية الإيقاع وتاثيرها الدلالي لذلك سنقف عنده ملامح من تعالق الايقاع والدلالة.

الفاصلة ودلالتها الايقاعية:

يعرف الرماني (ت 384 هـ) الفاصلة بأنها (حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن افهام المعاني وفيها بلاغة"[4] ويضيف الباقلاني "انها حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها افهام المعاني"[5] من هنا فالدور الذي تضطلع به الفاصلة لا يعتمد على وظيفتها الإيقاعية فحسب والا فقدت اصالتها وتشابهت (تعالى كتاب الله) مع السجع الذي تطغى عليه الوظيفة الإيقاعية على الوظيفة الدلالية في حين نجد أن النص القرآني تتآزر فيه الوظيفة الإيقاعية والدلالية مع بعضها بحيث لا يمكن فك عرى هذه التآزر ولو نظرنا الى فواصل سورة النبأ لوجدنا من الجمال ما يبلغ غاية الاتقان وينماز عن المألوف من كلام البشر.

تبتدئ السورة الكريمة بفاصلة النون المسبوقة بحرف المد الواو في (يتساءلون، مختلفون، سيعلمون) ومن المعروف في الدراسات الإيقاعية ان صوت النون من الاصوات اللثوية الإنسانية التي تنطق باتصال طرف اللسان باللثة العليا وهذا ما منح الصوت أهم ملامحه وهو ملمح الغنة، وهو من الاصوات المرققة التي عدها علماء الاصوات من حروف الذلاقة، ويأتي بالمرتبة الثانية في الجهر

(1) جواهر الالفاظ: مطبعة الخانجي القاهرة، 1933 ص9.
(2) فلسفة التأويل: د. نصر حامد ابو زيد، ط1، دار الوحدة، بيروت، 1983 ص5.
(3) للتفضيل في ذلك ينظر التفسير المنير / 446
(4) ثلاث رسائل في اعجاز القران: ابو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول علام، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص97.
(5) اعجاز القران: ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، 1951، ص86.

بعد الصوائت[1] ويرتبط صوت النون ارتباطا وثيقا في فواصل بدايات السورة مع حرف المد ومن المعروف في الدراسات الإيقاعية ان اصوات المد تمنح النص استطالة ايقاعية وامتدادا صوتيا ونفساً أطول مما يزيد من أمد التأمل والتفكير في دلالة النص واطاره المعنوي[2] ولقد جاءت بنية آيات افتتاح السورة بصيغة التساؤل والسعي لتعزيز بنية التيقن في النص فقد جاءت هذه الآيات لتؤكد فاعلية التيقن بعد التساؤل؛ اذ أن الاجابة القاطعة يحسم الرد على التساؤل؛ واذا كان الذهن البشري يستوحي معاني الاصوات عن طريق استبطان الدلالات اللاشعورية لها، ومن التجاوب الصوتي ان جاءت فاصلة الميم بين فواصل نونية لتقارب المخرج ولكون الصوتين من اصوات الغنة.

فاذا انتقلنا الى قوله تعالى: ((الم نجعل الارض مهداً والجبال أوتاداً)) (النبأ: ٦-٧) نجد أن النص مازال مستمرا في بنيته الدلالية على بنية التساؤل بيد أن الفاصلة القرآنية انتقلت الى صوت الدال وهو صوت مجهور شديد ويرى أحد الباحثين ان حرف الدال لا يوحي الا بالاحاسيس اللمسية وهو اصلح الاصوات للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين[3] ونرى أن مصاحبة صوت الدال لألف الاطلاق في الفاصلة القرآنية جاء متوافقا مع الدلالة المطلوبة فيها اذ أن مجيء صوت الدال الشديد الانفجاري بين (ألفي المد) جعلا صوته ممتدا ومستمرا في اعطاء صفة التباين، ولا يفوتنا هنا الانتباه الى أن دلالة الفاصلة قامت على تباين دلالي بين (مهاد، اوتاد)، ومن المعروف أن التقابل الدلالي من الظواهر الكثيرة التردد في القرآن الكريم، فقد ضاد بين (مهاد، وأوتاد) فالمهاد الارض المستوية الممهدة ممتدة الارجاء في حين ان الاوتاد هي العوامل التي تقوم بتثبيت الشيء وتركيزه في مكانه المطلوب. وهكذا فالتقابل (لفظان او تركيبان او عبارتان متضادتان او متخالفتان او متناقضتان في الدلالة، بحيث يكون احدهما ضد الاخر او خلافه او نقيضه في المعنى، ويدرك ذلك بالقرائن الدلالية المتعارف عليها كالقرينة السياقية)[4]. وقد اسهم التضاد في تقوية النص وإعطائها ايقاع ودلاله.

1) التكرار ودلالته الايقاعية:

يعد التكرار واحدا من أهم المؤثرات التي يتعاضد فيها الإيقاع مع الدلالة ويتآزران لمنح النص مزيدا من الانسجام والتآلف مما يخلق اثرا بالغاً في نفس المتلقي، والتكرار في اللغة الاعادة اذ يقول ابن منظور (كرّر الشيء اعاده مرة بعد مرة، وكررت عليه الحديث اذ رددته عليه)[5] أما في المفهوم البلاغي العربي (أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى او مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الاول والثاني، فان كان متحد الالفاظ والمعاني فالفائدة في اثباته تأكيد ذلك الامر وتقريره في النفس، وكذلك اذا كان المعنى متحدا، وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة في الاتيان به للدلالة على المعنيين لفظا)[6].

اما من الناحية الإيقاعية فان التكرار (في التعبير الادبي هو تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير الادبي بحيث تشكل نفساً موسيقيا يقصده الناظم في شعره)[7].

وترى نازك الملائكة ان التكرار في حقيقته (الحاح على جهة هامة إكذا| في العبارة... فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية تقيد الناقد الادبي الذي يدرس الاثر ويحلل نفسية كاتبه)[8].

فاذا تتبعنا التكرار في السورة الكريمة نجد مثالا لها فقوله تعالى: ((وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعاً شدادا وجعلنا سراجاً وهاجا)) (النبأ: ٩-١٣) بنت الآيات الكريمة دلالتها على تعالق التكرار بوصفه مؤثرا ايقاعيا مع بنية الدلالة في النص التي عززها الجانب الإيقاعي فالنص القرآني الكريم يؤكد على الخلق وترتيب أنظمة الكون وجعلها مواءمة لحياة

(1) للتفصيل في ذلك ينظر صوت النون في اللغة العربية د. ايمان محمد علي، شبكة المعلومات العالمية.
(2) ينظر جماليات التشكيل الايقاعي في شعر السياب: أ.د. محمد جواد البدراني، الدار للعربية للموسوعات، بيروت، 2013 ص184.
(3) خصائص الحروف العربية ومعانيها: حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص67.
(4) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: د.منال صلاح الدين، ط1، بغداد، 2013، ص41.
(5) لسان العرب: مادة كرر.
(6) معجم المصطلحات البلاغية: د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982، ج1 ص287.
(7) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي والتفسيري عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص239.ط
(8) قضايا الشعر المعاصر: 276.

البشر اذا ابتدأت بممهد لهذا التكرار في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) (النبأ: ٦)؛ فالبارئ سبحانه وتعالى يؤكد على الجعل وهو الخلق فلكي يبين سبحانه وتعالى تواتر نعمه على البشر ذكر لهم كيف خلق لهم تواتر الليل والنهار اذ جعل تبادلهما نعمة على البشر تيسر لهم سبل الارتياح والحياة الهانئة وتبعد عنهم الملل ثم يذكرهم بالنعم الاخرى من خلق السماوات والارض واضاءتهن بالشمس والقمر، فلقد أسهم التكرار في تأطير بنية الدلالة وتوكيد وتوثيق نعم الله سبحانه وتعالى على عباده؛ فقد جعل النص القرآني بانتقاء كلمات يتواشح تكرارها بعلاقات سياقية دلالية مثبتة تضفي على النص جمالية شيقة محكماً رهافة حسه الشعري والتكرار لا قيمة له في النص ((مالم يستند الى بنية سياقية تمنح النص احساسات يرتمي المتلقي في حركتها))[2]، ولقد كان بناء التكرار الذي اتخذ موقعه في بداية كل جملة تمثل آية مستقلة ذا دلالة واضحة فهو ينتمي الى ما يعرف بالدراسات الإيقاعية بتكرار الصدارة او تكرار كلمة في البداية والنص لا يلجأ الى هذا النوع من التكرار لأداء المدلول الحرفي او الدال المكرر بل انه يحاول أن ينمي هذا المدلول لغرض ايضاح الاثر الشعوري واللاشعوري اللذين يجعلان التكرار كاشفا عن النص ومضيئا للجوانب المخفية في داخله[1].

ومن أنماط التكرار في السورة الكريمة قوله تعالى: ((يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت ابواباً وسيرت الجبال فكانت سراباً)) النبأ: ١٨-٢٠ بني النص الكريم على تكرار الفعل الماضي الناقص (كان) ولعل جمالية التكرار قد عززت بنيتها الدلالية بالانتقال من زمن الى زمن فتبادل الافعال الماضية مع الافعال المضارعة خلق فجوة زمنية توحي دلاليا بالخوف فما أن تبتدئ الآيات الكريمة بالحديث عن يوم القيامة وهو يوم الحساب واعطاء كل ذي حق حقه وهو يوم مرتقب الحدوث في الزمن القادم فالآية الكريمة تتناول حدثا مستقبليا عززته الافعال المضارعة (يُنفخ، تأتون) لكن الآيات ما تلبث ان تنتقل الى الدلالة على الزمن الماضي بقوله (فتحت)، كانت، سيرت، كانت) فكأن الحدث انتقل فجأة من الزمن الحاضر الى الزمن الماضي ولا ننسى الدور الذي لعبته بنية الفعل للمجهول فلم ينسب النص القرآني الكريم الفعل لفاعله الاصلي بل جعله مبنيا للمجهول ليزيد الأمر غموضا وليعزز حالة الحيرة والقلق في نفس المتلقي وجاء تكرار الفعل الماضي الناقص (كان) ليؤكد كينونة الزمن الماضي وهذا ما خلق فجوة دلالية في النص توحي بتداخل الأزمنة في يوم القيامة بل بفقدان الزمن دلالته المعهودة بانتقاله بين زمنين متناقضين او اتحاد زمنين متناقضين في آن واحد بحيث لم تعد هناك دلالة زمنية.

الاصوات ودلالتها الايقاعية:

يعد الصوت اصغر وحدة ايقاعية في بنية أي نص أدبي ويكتسب الصوت قيمته الإيقاعية عبر تداخله مع سواد من الاصوات في بنية النص الادبي فيفعل قيما مدلوليه معينة اذ لا يمكن مطلقا فصل الصوت عن الدلالة لتأزرها في تكوين بنية العمل الادبي[2] فالصوت يلعب دورا مميزا بإيحاءاته وعلاقاته مع سواه لأنه لا يملك أية طاقة تعبيرية كاملة – وان امتلكت بعض الاصوات ايحاءات رامزة – مالم تصاحبه اصوات اخرى، ذلك الصوت له ليس معنى في ذاته وانما تكون له قيمة تعبيرية مرتبطة بخصائصه.

مما لاشك فيه ان توظيف الاصوات في النص لم يأت اعتباطا بل تكون ترابطا دلاليا يستند الى بنية سياقية عميقة.... وينمو الترابط الدلالي من خلال حركة التداخل والتواشج في جملة شعرية او أكثر، وهذه الحركة الفاعلة والمتفاعلة تعنى تداخل الكلمات صوتا وانفعالا وكذلك فاستخدام الاصوات وان كان في جل جوانبه يأتي اختيارا لا شعوريا لكنه في الوقت ذاته يعطي دلالات ايحائية متميزة سببها أن الأصوات تمتلك حينما تتكرر خصوصية كونية نوعية تحرص على منح قيم جمالية وايحائية تزيد دلالة النص رسوخا[3].

ولعل من أطرف الأقوال في تراثنا العربي عن قيمة الاصوات ودلالتها قول ابن سنان الخفاجي ((ان الحروف التي هي اصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر))[4] ففي هذا القول التفاتة ذكية الى تعالق الفنون وتشابكها ودور الصوت في دلالة النص.

(1) للتفصيل في ذلك ينظر جماليات التشكيل الايقاعي في شعر السياب / 182.
(2) ينظر المتخيل الشعري اساليب التشكيل ودلالات الرؤية: د. محمد صابر عبد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2000، ص26.
(3) ينظر: جماليات التشكيل الايقاعي في شعر السياب/ 156.
(4) سر الفصاحة: دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص14.

وسنقف الآن عند دلالة استخدام بعض الاصوات في سياق الآية القرآنية إذ قال تعالى فيها: ((عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون)) النبأ: ١ – ٥، نلاحظ في الآيات الكريمة تراكم صوتي النون والميم (فقد ورد الميم 8مرات والنون 7مرات) وبيد أن هذا التراكم الصوتي ترك اثره الكبير في الدلالة ذلك أن تكرار صوت النون اسهم في تحقيق انسجام ايقاعي ودلالي فغنة النون وانفتاحه وذلاقته كونت له طبيعة مائعة جعلته يوحي بالانفتاح واستمرارية التساؤل والميل[1]، فضلا عن ما اسهمت به أصوات النون والميم المتكررة المنطوقة شفوياً بإيحاء من الرهبة والتوجس.

التوازي ودلالته الايقاعية:

يرتبط مفهوم التوازي في النقد المعاصر باسم (رومان ياكوبسون) الذي رأى ان التوازي (ما يتشكل من علاقات أصلية بين الوحدات المتكررة المرتبة في متشابهات وتباينات، ترينا العلاقة بين الشكل الخارجي والدلالة)[2].

ولقد تأثر النقد العربي الحديث كثيرا بآراء ياكوبسون اذ يرى د. محمد مفتاح ان التوازي هو التشاكل ويعرفه بأنه (تنمية لنواة معينة باركام قسري واختياري لعناصر صوتية ومعجمية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة)[3] في حين يرى فاضل ثامر انه (نسق التجريب والمقابلة بين محتويين او سردين بهدف البرهنة على تشابههما واختلافهما حيث يتم التشديد على تطابق معاودات وتعارض الطرفين بواسطة معادلات ايقاعية او تركيبية)[4].

ولقد جاء التوازي في السورة الكريمة على انواع متعددة تركت اثرها في البنية الدلالية لها ومن أمثلتها:

أ- **التوازي النحوي الصرفي:**

ويسميه البعض التوازي التركيبي وهو يسعى الى ابراز الصور النحوية والصرفية عبر متواليات تنتظم في صيغ متوازية، تسمح بالتفكيك للمجموعة النصية الى وحدات صغرى تقوم على ابراز النص من الداخل.

يعد هذا النوع من أهم العناصر المكونة للتوازي لان البنى اللفظية ذات الصفات المتشابهة والتشاكل النحوي يؤديان وظيفتين مهمتين اذ يخدمان البعد الإيقاعي بتكرار التراكيب وانتظامها من جانب ومن جانب اخر يدعمان البعد الدلالي الذي يقوي من ايقاع الفكرة ويحقق العلاقات الدلالية والطاقة الايحائية التي تضفي على النص دلالة ايقاعية متواشجة مع تجربة الشاعر.

ولعل من امثلة ذلك الآية الكريمة ((وفتحت السماء فكانت ابواباً وسيرت الجبال فكانت سراباً)) النبأ: ١٩–٢٠، فلقد جاء ترتيب الآيتين على هذه الصيغة:

فتحت	+	السماء	+	فكانت		+	أبوابا
↓		↓			↓		↓
سيرت	+	الجبال	+	فكانت		+	سرابا
فعل مبني للمجهول	+	نائب فاعل	+	فعل ماضي ناقص واسمه مستتر		+	خبرها

لقد جاءت هذه الصيغة في الآيتين الكريمتين لتعزز بنية النص وتؤكد دلالته فضلا على الجانب الإيقاعي في النص الا اننا نلاحظ ايضا دور التوازي في تثبيت النص وتقويته، فالمقصود بالآية الكريمة التخويف من احداث يوم القيامة والاشارة الى ما فيها من أهوال ومصائب واحداث خارقة للمألوف وخارجة عن القوانين الدنيوية لذلك عززت بنية الإيقاع هذه الدلالة وانتقلت من جانبها الإيقاعي الى الجانب الدلالي القائم على التوازي، فكأن الجملتين تتكاملان وتتأزران لبناء النص دلاليا

(1) ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبدالرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص144.
(2) قضايا الشعرية: رومان ياكوبسون: 82.
(3) تحليل الخطاب الشعري/ 25.
(4) مدارات نقدية (في اشكالية النقد والحداثة والابداع): 137.

ب- **التوازي القائم على تقابل دلالي:**

ويتم هذا النمط بوجود تقابل دلالي بين عنصرين أو بين موقعين في سلسلتين كل متوالية وهذا التقسيم اساس التعادل الإيقاعي حيث ان الإيقاع هنا يتحكم بالتقسيم فنلاحظ معه نوعاً من التوازي ومما لاشك فيه أن لفعالية التضاد ابعاداً مثيرة إذ أن التقابل يستدعي دلالات مختلفة ليشكل أحدهما نقيض الآخر[1].

قال تعالى في السورة الكريمة (وجعلنا)

ان الآيتين الكريمتين تقومان على تقابل دلالي متوازن بين

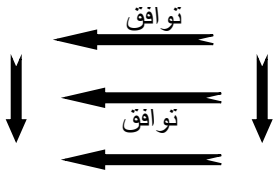

لقد عززت بنية التوازي الإيقاعي دلالة النص ومنحته مزيداً من التوتر والانسجام في آن واحد، فقد جعل الله تعالى الليل لراحة البشر بعد رحلة كد وتعب طويلة في حين جعل النهار لكسب الأرزاق والمعائش وهذا التوازن القائم على الانسجام الكوني لم يتأت إلا من خلال التناقض فالانسجام هنا قائم على التضاد إذ لو لم يخلق سبحانه وتعالى ثنائية الليل والنهار لما استمرت الحياة ولما تحقق التوازن الكوني فياله من انسجام قائم على تناقض وتضاد وبذلك يتحقق ما يعرف بالفلسفة العرفانية بجلال الجمال وهو صفة الهية تظهر على أشكال من الترغيب والترهيب والقهر والابتلاء وترفق الواردات الالهية من مكان ومعارف وعلوم لها غايات متعددة فالترهيب والتهديد ومظاهر القهر بهدف تحقيق السعادة للبشر بامتناعهم عن الانحراف والسلوك غير السوي ليكون العبد اهلا للواردات الالهية ومستودعا للأسرار الالهية والمعارف الدينية الموهوبة من الحق في الحياة الدنيا والاخرة[2].

ج- **التوازي القائم على مستوى التصاعد الذروي:**

يقوم هذا النوع من التوازي على البحث نحو دورة دلالية معينة تمثل الانفتاح الذي يسير النص باتجاهه ولذلك يهتف هذا النوع من التوازي بقوة دلالة النص ويوجهها نحو القمة الدلالية التي يهدف الشاعر الوصول اليها[3].

ومن أمثلة ذلك في السورة الكريمة قوله ((إنهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذاباً وكل شيء أحصيناه كتاباً فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً)) النبأ: ٢٧ – ٣٠

بنت الآيات الكريمة ايقاعها ودلالتها على التسلسل الذروي وانتقال الدلالة تصاعديا فقد بدأت بالحديث عن تسلسل العصيان البشري فقد ابتدأ بكونهم لا يرجون الحساب ولم يؤمنوا باليوم الآخر فقد كانوا لا يؤمنون بوجود الحساب ولا يعتقدون به وكانوا يكذبون بآيات الله سبحانه وتعالى ولا يؤمنون بما يرسل لهم من علامات وبراهين وأدلة بأيدي رسله وكانت العدالة الالهية تأبى إلا أن تسجل تلك المواقف فيجازى كل إنسان بعمله ان أحسن فإحسان وإن اساء فيتحمل وزر ما عمله، ويختتم النص القرآني حديثه بالخاتمة المتوقعة والمحتومة لأهل النار بانهم يذوقون ما قدموا ويزدادون عذابا فوق عذاب، فالله سبحانه وتعالى أكرم من أن يساوي بين المحسن والمسيء، من هنا وصل النص الى ذروة دلاليته بأن نال الكفار والمكذبين والمنكرين لنعم الله سبحانه وتعالى ما يستحقونه من عذاب يلائم كفرهم وعصيانهم لذلك جاءت الدلالة متدرجة متصاعدة باتجاه ذروة النص التي حسمت عصيان العاصين ومصيرهم المحتوم.

(1) جدلية الخفاء والتجلي: كمال ابو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص49س.
(2) ينظر: الجمال وجلال الجمال في القرآن الكريم: د. ضاري مظهر صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2013، ص49..
(3) ينظر التوازي واثره الايقاعي والدلالي: د. محمد جواد حبيب البدراني، مجلة اداب الرافدين، العدد 53 لسنة 2009، ص109.

د- **الموازاة الأصلية:**

وهذا النوع من التكرار يقوم على ضرب من التوازي يتيح امكانية قراءة مزدوجة وهو تواز يقوم على اساس التقاطع بين العناصر المكررة وقد عرف بالنقد الغربي بالعكس والتبديل ويقوم نتيجة استبدال المركز الاصلي للموتيم من اليمين الى اليسار او العكس على مستوى الاسطر[1].

ولعل الموازاة الأصلية من اكثر المؤثرات الايقاعية ارتباطا بالدلالة بسبب تآزر وتعاضد طرفيها، اذ تشتغل على ما يشبه المعادلة الرياضية، ففي قوله تعالى ((عم يتساءلون عن النبأ العظيم)) (النبأ: ١-٢) اذ يمكن النظر الى الآيتين الكريمتين وفق الصيغة

عم يتساءلون

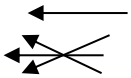

يتساءلون النبأ العظيم

ان النص مبني على التساؤل فالآية ابتدأت بإثارة هي حس التساؤل في نفس المتلقي اذ أن تقدير الآيتين (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۝٢ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢):(**النبأ** ١-٢) لكن النص القرآني حذف الفعل وفاعله من النص وأبقى الجار والمجرور المتعلق بالفعل وهكذا نجد أن بنية التساؤل شكلت سدى النص ولحمته فكان الايقاع فيها مكملاً دور الدلالة ولولا الإيقاع لما اكتملت الدلالة المتوخاة من النص، ومما لاشك فيه أن القراءة المزدوجة توفر للمتلقي إيقاعا داخلياً واضحاً من خلال ترتيب وخلق ترتيب اخر يجعل النص اكثر تماسكاً.

تكرار الكلمة في البداية:

وهو عبارة عن وحدتين معجميتين أو أكثر تتجسد بشكل متواتر في بداية كل سطر وفق النسق (أ.....، أ.....) ويعد هذا النوع من أكثر انواع التكرار شيوعا ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١)(النبأ: ٩-١١) فلقد جاءت الآيات الكريمات متصدرة بالفعل الماضي المسند الى الضمير (نا) (جعلنا) فقد أكدت الآيات الكريمات على الجعل وهو الخلق فالله سبحانه وتعالى في الآيات الكريمات يريد أن يعزز في النص قدرته سبحانه وتعالى وتقديره وهو الذي بنى هذه الموازنة الكونية بين الليل والنهار والعمل والراحة.

ان هذا النمط من التكرار يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص بنية متسقة متلاحقة تجسد التلاحم والتتابع الذي يثير احساسا بالتوقع الذي يجعل القارئ أكثر تحفزا للانتباه.

من هنا نجد أن الإيقاع والدلالة في سورة (النبأ) يتعاضدان ليكونا كلاً متكاملا يسهم في التأثير في المتلقي ويثير احساسا بالعجز أزاء هذا الاعجاز النصي.

(1) ينظر جماليات التشكيل الايقاعي في شعر السياب / 204.